

أشكال الفاصلة القرآنية وإسرارها البليانية

لريبي يمينة، جامعة الدكتور طاهر مولاي بسعيدة، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2018/02/05 تاريخ القبول: 2018/05/08 تاريخ النشر: 2018/06/12

ملخص

للفاصلة القرآنية خصوصية متفردة في النص القرآني وهي من أساليب القرآن الممتعة وتراكيبه الفريدة لما تحويه من دلالات إعجازية وألوان بديعية، ومن أبرز وظائفها في القرآن الكريم التنسيق بين اللفظ والمعنى وإظهاره في أحسن صورة، وهذا سر من أسرار إعجازها يبهز الأبواب ويسحر القلوب.

الكلمات المفتاحية: - الفاصلة القرآنية - النص القرآني - الدلالات الإعجازية - الألوان البديعية.

Abstract

The Quranic passage is unique in the Quranic text, and it is one of the interesting styles of the Quranic and its unique structures because it contains miraculous sings, one of it is most prominent functions in the holy quran is the coordination between the word and the meaning and its manifestation in best form.

Key words: -Quranic passage -Quranic text -miraculous sings -the meaning.

أولاً: تعريف الفاصلة:

للفاصلة القرآنية تعاريف متعددة، فهناك من عرفها على أساس أنها اللَّفْظ الأخير الذي تختتم به الآيات، وهناك من يقصد بها أواخر الآيات نظراً لما تتضمنه من أسرار بلاغية ومن إعجاز بياني وبلاغي بين آياتها، والأمثلة واردة بكثرة في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (سورة الأحزاب، الآية: 66 - 67).

1 - لغة: ومن ذلك ما ورد في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (فصل) قوله: «الفصل: الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي: قطعتة فانقطع،... والفاصلة: الْخَرَزَةُ التي تفصل بين الْخَرَزَتَيْنِ في النِّظَام، وقد فصل النظم، أي جُعِلَ بَيْنَ كُلِّ لَوْلُوتَيْنِ خَرَزَةٌ، والفصل: القضاء بين الحقِّ والباطل»⁽¹⁾

ويعدّ «الخليل» أول من أشار إلى مصطلح الفاصلة بقوله: «سجع الرجل، إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن»⁽²⁾

ومنه ما ورد كذلك في تاج العروس للزبيدي قوله: «الفصل: (كلّ ملتقى عظمين منّ الجسد، كالمفصل) كمجلس... قال الليث: الفصل (منّ الجسد: موضع المفصل، وبين كلّ فصلين وُصْلٌ)، وأنشد وصلاً وفصلاً وتجميعاً ومُفترقاً فتقاً ورتقاً وتأليفاً للإنسان»⁽³⁾

يُفهم من خلال ذلك أنّ الفاصلة بمعناها اللّغوي تعني الفصل بين شيئين متصلين، ويظهر ذلك في التخريجات اللّغوية الواردة في العديد من الآيات القرآنية.

2 - اصطلاحاً: لقد اختلفت تعاريف الفاصلة القرآنية من حيث الاصطلاح، فقد عرفها «الباقلاني» بقوله: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطّريقة التي يُباين القرآن بها سائر الكلام، وتُسمّى فواصل؛ لأنّه ينفصل عندها الكلام، وذلك أنّ آخر الآية فصلٌ بينها وبين ما بعدها»⁽⁴⁾

ويؤكّد «الباقلاني» من خلال تعريفه هذا على علاقة الفاصلة بالمعاني، بالإضافة إلى دورها الإيقاعي الناتج عن المقاطع المتشاكلة. وقد عرفها «الزركشي» بقوله: «هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقريئة السجع»⁽⁵⁾

وفي القرآن الكريم نجد السّور الطوال والقصار على حدّ السواء يظهر فيها أثر

الفواصل القرآنية في التنغيم والإيقاع الصوتي، ممّا يُعطي للآيات القرآنية جمالاً فوق جمال تلاوة القرآن الكريم، والعنصر الإيقاعي له دورٌ كبيرٌ في هذا المجال.

ثانياً: أشكال الفاصلة القرآنية:

كثُرَ في القرآن الكريم اختتام الفواصل بحروف متقاربة، وحروف متجانسة وأخرى متماثلة لذلك تعددت أشكال الفواصل واختلفت منها:

1 - الفواصل المتقاربة: «وتُسمى ذات المناسبة غير التامة، فهي التي تقاربت حُروف رويها، كتقارب الميم مع النون في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٣ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ أو تقارب الدال مع الباء نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ لَمْ يَرْحَبْ بِمِلْحَمَتِ يَوْمِ الدِّينِ ١﴾. الفاصلة القرآنية تأتي مُكمّلة للمعنى الذي قبلها ومُناسبة له، ولو تغيّرت هذه الفاصلة لاختل المعنى.

ومنه قول «فخر الدين»: «فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين، بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة قال: وبهذا يترجّح مذهب «الشافعي» على مذهب «أبي حنيفة» في عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسمة، وجعل (صِرْطَ الَّذِينَ) إلى آخرها آية، فإنّ من جعل آخر الآية السادسة (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) مردوداً بأنّه لا يُشابه فواصل سائر آيات السورة، لا بالمتماثلة، ولا بالمقاربة، ورعاية التشابه في الفواصل لازمة»⁽⁶⁾ والملاحظ من خلال سورة الفاتحة أنّه يُوجد تقارب ما بين النون والميم، وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٣ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ (سورة الفاتحة، الآية 01-07).

2 - الفواصل المتماثلة:

وتُسمى كذلك المنسجمة، وهي التي يحدث فيها تشابه في الحرف الأخير، وقد يكون هذا التماثل بحرفٍ واحدٍ، أو حرفين أو ثلاثة أحرفٍ، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَنْ يَخْشَى، تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمُوتِ الْعُلَى، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه، الآية: 2-5).

«وقد تتفق الفاصلتان لا في الحرف الأخير فحسب، ولكن في حرفٍ قبله، أو أكثر، من غير أن يكون في ذلك كلفة ولا قلق، بل سلاسة ولين وجمال»⁽⁷⁾.

وقد يحدث فيها تشابه في الحرفين الأخيرين أو في الأحرف الأربعة الأخيرة، وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ، الَّذِي أَنْقَضَ

ظَهَرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿ (سورة الشرح، الآية: 04-01).

وقوله أيضاً: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (سورة القلم، الآية: 03-02).

من خلال الآيات السابقة اتضح التماثل في الفواصل القرآنية والتشابه فيها، وهذا التماثل قد يتم بحرف واحد أو يتعدى إلى أربعة، وذلك حتى تناسب الفواصل فيما بينها، وتُحقّق لنا إيقاعاً موسيقياً واحداً.

3 - الفواصل المنفردة:

«أما الفواصل المنفردة -وهي نادرة- فهي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب، كالفاصلة التي خُتمت بها في سورة الضحى ﴿فَأَمَّا آلَيْتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾⁽⁸⁾.

وقد وردت أمثلة كثيرة في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (سورة الغاشية، الآية 16-15).

ويبدو في كلّ هذا أنّ الفاصلة القرآنية تأتي مُنسجمة ومُتماثلة مع بقية الآيات الأخرى وذلك عند اقتضاء المعنى المطلوب، وقد تختلف عمّا في سياقها كلّ ذلك طلباً للمعنى المقصود، وسنقدّم بعض النماذج في هذا المجال بخصوص ما تهدف إليه الفاصلة القرآنية.⁽⁹⁾

أ- قد تكون الفواصل في السورة على نمط واحد من أولها إلى آخرها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاثِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ، أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (سورة ق، الآية 03-01). كلّ آياتها تنتهي بحرف قبله مدّ بالواو أو الياء، نحو: المجيد، الوعيد، بعيد... الخ.

ونحو ذلك في سورة الحجرات فإنّها كذلك مثل: عليم، عظيم، تشعرون، يعقلون، ونحو سورة الفتح فإنّها تنتهي بالألف عند الوقف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (سورة الفتح، الآية 02-01).

ب- أنّ جميع الفواصل في القرآن لم تقتصر على مراعاة حسن النظم فقط، وإنّما راعت مع ذلك -وقبله- جانب المعنى، فتحقق بذلك إيقاعها الفريد، وبلاغتها العليا في مطابقتها لمضمون ما قبلها ولذا يقول «الرماني»: وفواصل القرآن كلّها بلاغة وحكمة؛ لأنّها طريقٌ إلى إفهام المعاني التي يحتاجها إليها في أحسن صورة يدلّ بها عليها.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هُرُونَ وَمُوسَى﴾ كانت الآية الوحيدة التي قدّم فيها هارون على موسى، وذلك مُراعاة للنسق والأغراض التي جاءت من أجلها، وقد يكون هذا الاتّساق والانسجام والتناسب واضحاً جليّاً من خلال الآيات.

ج- قد يجري شيئاً من تغيير الفاصلة ممّا لا يخلّ بالمعنى وذلك لأمرٍ بياني، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ٦٧﴾، فمدّ السبيل مع أنّه قال في السورة نفسها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَا ٤﴾، فلم يمدّ السبيل.

رغم وجود اختلاف في الفواصل القرآنية إلّا أنّ هذا الأمر لا يخلّ بالمعنى وذلك إتّباعاً وانسجاماً للمقطع الموسيقي الذي تتطلبه الفواصل القرآنية في الآيتين.

ثالثاً - أسباب وجود الفواصل ومُبرراتها:

أيّ شيء وُجد في القرآن الكريم إلّا وله مُبررات ودوافع تُبيّن ذلك، وهذا ما برز في الفواصل القرآنية ومن بين أسباب وجودها ومُبرراتها ما يلي: ⁽¹⁰⁾

1 - الحذف:

حذف شيء من الكلام خاصّة في القرآن لا بدّ أن يكون له مُبرر وهدف، إذ لو بقي المحذوف لم تنسجم فواصل الآيات مع بعضها البعض ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (سورة الشعراء، الآية 72-73).
إذ الأصل (أَوْ يَضُرُّونَكُمْ) مقابل (أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ)، ولكنه حُذف المفعول به من (يضرّونكم)، إذ لو أبقاه لم تنسجم فاصلة الآية مع بقية الآيات.

وهذا ما تجلّى في الآية الكريمة، إذ حُذفت هنا (يضرّونكم)، إذ الأصل فيها (يَضُرُّونَ)، إذ لو قلنا (يضرّونكم) ولم نقل (يَضُرُّونَ) لم يحدث انسجام واتّساق في الفواصل القرآنية بين الآيات وفي ذلك مزايا أخرى بيانية كالّتوازن بين الآيات والإيجاز والاختصار.

2 - الزيادة:

قد تكون زيادة حرف أو كلمة للغرض نفسه كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (سورة الأحزاب، الآية 10) «لأنّ معظم الآيات تنتهي بألف منقلبة عن تنوين وقفاً، فزيد على النّون الألف لمناسبة نهايات الفواصل.» وقد وقع زيادة في هذا الحرف نظراً لما سبق هذه الآية من خلال قوله: مسطوراً، غليظاً، أليماً، بصيراً... الخ، وهذه الزيادة كان لها غرض مُناسب لنهاية الفواصل السابقة واللاحقة لها. ومثلها أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ٦٧﴾، وقوله أيضاً: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ٦٦﴾.

مع فواصل الآيات كقوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (سورة الشعراء الآية: 47-48) بتقديم موسى على هارون فيجعل كلمة هارون نهاية الفاصلة انسجامًا مع الفواصل السابقة واللاحقة ومن مُميّزاتها ما يلي: ⁽¹³⁾

1 - **المزاوجة بين الفواصل:** قال أبو «الهلل العسكري» «لا يُحسن منشور الكلام ولا يَحُلُو حَتَّى يَكُونَ مَزْدُوجًا وَلَا تَكَاد تَجِدُ لِبَلِيغٍ كَلَامًا يَخْلُو مِنَ الْإِزْدَوَاجِ وَلَوْ اسْتَغْنَى كَلَامٌ عَنِ الْإِزْدَوَاجِ لَكَانَ الْقُرْآنُ، وَقَدْ كَثُرَ الْإِزْدَوَاجُ فِيهِ حَتَّى حَصَلَ فِي أَوْسَاطِ الْآيَاتِ فَضْلًا عَمَّا تَزَاجُ فِي الْفَوَاصِلِ مِنْهُ.» ⁽¹⁴⁾

ومعنى هذا أنَّ المزاوجة تعني اتفاق فاصلتين أو أكثر في الحرف الأخير أو بإمكاننا أن نُسَمِّيها المطابقة بين أواخر الكلمات ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، (سورة الشرح، الآية: 07-08).

2 - **ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى:** لإبراز الجانب الدلالي والتناغمي للفاصلة القرآنية ينبغي مراعاة اللفظ والمعنى وذلك من خلال ما يلي ⁽¹⁵⁾:

أ - بناءً كثير من الفواصل على الوقف حتى لا يختل الإيقاع، ولذا شاع الجمع بين الفواصل المختلفة نظرًا لاتفاق شكلها عند الوقف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ مع تقدّم قوله: «﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ...شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾» وقد نبّه إلى ذلك «إبراهيم أنيس» حين قال: بل إن جزم الفعل «آنحز» في سورة الكوثر ليؤكد لنا أنَّ الوقوف بالسكون على رؤوس آيات هذه السورة؛ لأنَّ يحقّق الانسجام الموسيقي، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَآنحز، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر، الآية: 04-01).

ب - تفضيل كثير من الفواصل لأصوات معيّنة لحرف الروي وختامها بحروف المدّ والنون تمكينا للقارئ من تحقيق التّرمّ والتّمكن من التطّريب لذلك كما يقول «الزركشي» الذي ينقل عن «سيبويه» قوله: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والواو والياء... لأنهم أرادوا مدّ الصّوت، ويمكن إضافة النّون والميم فهما الصّوتان الأنفيان الوحيدان في اللّغة ممّا يسمح بالتّنغيم والتّريد.

وقد لوحظ ممّا سبق أنَّ الفواصل القرآنية فيها ملاءمة ما بين اللفظ والمعنى والجرس الصّوتي والموسيقى هو الذي يبرز هذا الارتباط الوثيق بينهما، وقد لوحظ في الفواصل القرآنية تبعيتها للمعاني وذلك حتى لا يختل الإيقاع بينها، كما ورد التّقديم والتأخير في الآيتين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (سورة طه، الآية: 70). ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (سورة الشعراء،

(الآية: 47-48).

والملاحظ هنا أنَّ الآية الأولى انتهت بقوله (مُوسَى) والثانية اختتمت بقوله «هُرُونَ» وقد أدَّى ذلك أي مراعاة القرآن للفواصل إلى جملة تغييرات، ولو تأملنا السور التي سبقتها لوجدنا السر في التقديم والتأخير هو مراعاة الفواصل والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (سورة طه، الآية: 67-68). «وتقدير الكلام (فأوجس موسى في نفسه خيفة) فقدّم المفعول به على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وحرف الجر قصداً لتحسين النظم، فالجرس الموسيقي والاتزان الإيقاعي يظهر بحلّة خلاصة في موقع التقديم والتأخير.»⁽¹⁶⁾

وهذا ما يبرزه القرآن الكريم من حلاوة نغمة وانسجام فواصل آياته وترديد إيقاعه واتزان جرسه الموسيقي، فمرةً نراه يُقدّم كلمة ومرةً أخرى يؤخرها انسجاماً مع فواصل الآيات وقد نجد كلّ فاصلة يختتم بها الكلام تناسب الآيات السابقة لها في المعنى، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٠٣﴾، «فقد خُتمت الآية بما يُناسب أولها إذ «اللّطيف» يلائم «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» و«الْخَبِيرُ» يلائم «وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» لأنّ مَنْ يُدْرِك الشيء يكون خبيراً به.»⁽¹⁷⁾

3 - الظواهر الإيقاعية في نهايات الجمل: «لقد جاء العنصر الإيقاعي في الفواصل القرآنية إغناءً للعرب المجبولين على حب القوافي والأسجاع لما فهمما من إيقاع جميل مؤثر... جاء إغناءً للعرب بما هو أطيب وألذّ للأسماع والعقول وأكثر بركةً وثواباً.»⁽¹⁸⁾

وقد ظهر العنصر الإيقاعي إلى جانب العنصر الموسيقي في الفواصل القرآنية، وفي القرآن الكريم نجد سوراً كاملةً تنتهي آياتها بفاصلة واحدة كما ورد ذلك في سورة القمر ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَتَرَبَّتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ (سورة القمر، الآية 01-03). فالفواصل في هاته الآيات ذات نظم بديع وعجيب متمكنة في المعنى لا يطلب غيرها فكلّ هذه الآيات تنتهي بحرف واحد وهو: الراء وهذا يبرز دلالة إعجاز الفواصل القرآنية، والمتأمل للقرآن الكريم وفواصله يجدها قد «وقّرت للقرآن نظماً موسيقياً فريداً، وامتدّت تأثيرها إلى بناء الجملة القرآنية بناءً نحوياً خاصاً قد يفتقر عن البناء الأصولي للجملة العربية في نحو النحاة بل امتدّت تأثير الفواصل إلى بناء الكلمة.»⁽¹⁹⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ٦٦﴾ (سورة الأحزاب، الآية 66). يرى ابن عاشور «أنّ الألف في آخر قوله «الرَّسُولَ» لرعاية الفواصل التي بُنيت عليها السورة فإنّها بُنيت على فاصلة الألف

وهي ألف الإطلاق»⁽²⁰⁾

وهكذا يتبين لنا أنّ الفاصلة القرآنية لها ارتباط وثيق بدلالة الآيات ومعانيها وبتلاؤم انسجامها الصوتي وتوافقها مع الفواصل الأخرى، وهذا يعني أنّ الفاصلة القرآنية تحمل في ذاتها أمرين: المبنى والمعنى «والفاصلة ذات قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بموسيقى النصّ القرآني، كما ارتبط الإيقاع بذلك من قبلها، وللإعجاز القرآني أكثر من وجه ومن الموسيقى والإيقاع الداخلي بل هو جزء لا ينفصل عن الإعجاز الذي يُثير المتعة والتأثير في المتلقي»⁽²¹⁾

فالقرآن الكريم يُعتبر مُعجزةً خالدةً لا يُمكننا أن نعتبره نصّاً شعريّاً خالصاً ولا نثرّاً خالصاً كونه كلام الله عزّ وجلّ وإيقاعه الداخلي وموسيقاه الجمالية تفوق حسن وجمال موسيقى الشعر، فالانسجام بين الآيات القرآنية يحصل عن طريق الإيقاع منتجاً بذلك تناسباً موسيقياً باهراً والإيقاع في الفواصل القرآنية مُطابق للآيات القرآنية، ويتجلّى ذلك على سبيل المثال في سورة القمر والمتأمل فيها يجد أنّ فواصل آياتها ذات إيقاع متوازن وموحد، ونجد أكثر من سورة في القرآن الكريم تتضمن ذلك ومنها السور الآتية : «الأعلى، الشمس، الليل... الخ.

فقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ (سورة الأعلى، الآية 01-05).

وقوله أيضاً: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا، وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا، وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (سورة الشمس، الآية 01-04).

وقوله كذلك: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى، فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (سورة الليل، الآية 01-06).

4 - تكرير الفواصل في بعض السور القرآنية: إنّ المتأمل في القرآن الكريم وفي آياته وسوره يجد (سورة الرحمن) هي السورة التي تكرّرت فيها الفاصلة القرآنية بطريقة مُميّزة حيث وردت على شكل ترتيب كامل إضافةً إلى ذلك (سورة المرسلات)، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا بَيِّنَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (سورة الرحمن، الآية: 17-21).

وقوله أيضاً: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ، وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءَ

وَأَمْوَاتًا، وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسَ شُجُومٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا، وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ (سورة المرسلات، الآية: 28-20).

يتضح في هذه الآيات أنّ الفاصلة الواردة فيها هدفها الربط والاتساق والانسجام بين الآيات السابقة واللاحقة لها، إضافةً إلى ذلك روعة إيقاعها الموسيقي المهيّج بألوان من التنغيم المؤثر في مشاعر السامعين، وهذا من الأسرار العجيبة إضافةً إلى الربط بين الألفاظ والمعاني وهو النّسق الذي يلتزمه القرآن الكريم في جميع آياته.

5 - تناسب الفواصل: نجد في القرآن الكريم كل آية يُختم بها الكلام تناسب ما قبلها وما بعدها لإتمام المعنى المطلوب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية 29-28).

فالمتبادر إلى الذّهن «أن تُختتم الآية بالقدرة (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، ولكن عند تأمل النّص القرآني وإمعان النّظر في سياقه يظهر ويتّضح أنّ المناسب هو ما خُتمت به الآية (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لأنّ تقدّم ذكر خلق الأرض والسّماء والتّصرف على العالم العلوي والسفلي وغير ذلك من الإحياء والإماتة ثمّ الإحياء، كلّ هذا يدلّ على صدور تلك الأشياء عن العلم الكامل التّام المحيط بجميع الأشياء...»⁽²²⁾ وقد تحتاج الفاصلة في هاته الآيات إلى إمعان النّظر والتأمّل فيها حتّى تُناسب السّياق الذي ترد فيه.

وترد الفاصلة في تناسب مع مضمون آياتها مُتألّفة مع ما سبقها ولحقها من فواصل وآيات ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 02).

لما بدأ الله تعالى الكلام في السّورة بعدّ الحروف المقطعة «ذكر الكتاب المبارك ونفى عنه الرّيب ثمّ ختم الفاصلة بما يُناسب ذلك تمامًا، وهو كون هذا الكتاب هدى لصنفٍ واحدٍ من النّاس ينتفعون به هم المتّقون ولا ينتفع غيرهم لما فيه من خيرٍ عظيم، ثمّ شرع بعدما بيّن صفات هؤلاء المتّقين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾»⁽²³⁾.

خاتمة:

وخاتمة القول في هذا أنّ التنوّع في الفواصل واختيارها بعناية فائقة لتناسب كل آية، جاء هذا التنوّع للمحافظة على سياق هذه الآيات التي وردت فيها الفواصل، وهذا

من إعجاز القرآن الكريم بفضل جمال أساليبه ودقة دلالاته، وعذوبة ألفاظه، وحسن وقعها في السمع، كل ذلك من أسرار الإعجاز البياني في النص القرآني.

الهوامش:

- (1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الحادي عشر، مادة (فصل)، ص: 521.
- (2) أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، دار الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013م، ص: 38.
- (3) محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي، 1969م، ج05، مادة [ف. ص. ل.]، ص: 162.
- (4) محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، (د.ط)، ص: 143.
- (5) فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص: 80.
- (6) محمد الحسنوي، الفاصلة في القرآن، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2000م، ص: 146.
- (7) وليد إبراهيم قصاب، الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الفكر، دمشق، ط2، 2014م، ص: 163.
- (8) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، شركة النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2005م، ص: 74.
- (9) أحمد عبد المجيد محمد خليفة، نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى، القاهرة (د.ط)، 2008، ص: 99.
- (10) محمد الحسنوي، الفاصلة في القرآن، المرجع السابق، ص: 147.
- (11) فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، ط2، 2012، ص: 163.
- (12) السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية: دراسة بلاغية ودلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2000م، ص: 51.
- (13) فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 285.
- (14) كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص: 66.
- (15) أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2006م، ص: 74.
- (16) تحسين فاضل عباس، الانسجام الصوتي في النص القرآني، دار الرضوان للنشر

- والتوزيع، عمّان، الأردن، ط9، 2012م، ص: 132.
- (17) السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، المرجع السابق، ص50.
- (18) عدنان جاسم محمد الجميلي، الخطاب القرآني في شخصية الرسول الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص82.
- (19) المرجع نفسه، ص: 82.
- (20) المرجع نفسه، ص: 82.
- (21) تحسين فاضل عباس، الانسجام الصوتي في النّص القرآني، المرجع السابق، ص130.
- (22) كمال الدين عبد الغني المرسى، فواصل الآيات القرآنية، المرجع السابق، ص72.
- (23) السيّد خضر، فواصل الآيات القرآنية، المرجع السابق، ص377.

